التربية والتعليم في الموصل في العهد العثماني

د. نوري أحمد عبد القادر   د. ظافر عبد النافع

تاريخ تسليم البحث : ٢٠٠٩/٤/٦ ؛ تاريخ قبول النشر : ٢٠٠٩/١٠/١٥

ملخص البحث :

تعد مدينة الموصل من المدن المهمة في موقعها الجغرافي فهي حلقة وصل بين بلاد إيران شرقا والبحر المتوسط غربا وبين بلاد الأناضول شمالا والخليج العربي جنوبا ، لذا كانت من الولايات المهمة في العصر العثماني والتي أسهمت في الحضارة الإسلامية بشكل مباشر في شتى الاتجاهات الحضارية ، وأشهرها الناحية الثقافية حين بنيت المدارس وبرز العلماء وأنتجوا الكثير من المؤلفات في شتى المجالات العلمية والثقافية إلا أنها مرت بفترة من الركود الحضاري بسبب سيطرة الأقوام الأجنبية على العراق ولما استولى عليها العثمانيون كانت حركة التعليم تسير على النمط القديم واستمرت الحالة إلى بداية العصر الحديث حيث أسست المدارس العديدة داخل الولاية وتوابعها ، وصب اهتمامنا في هذا المجال لان الحركة العلمية تعكس جهود أبناء البلاد في النهوض بمدينتهم في سبيل الرقى والتقدم .

وقد اعتمدنا في كتابة هذا البحث على مصادر عدة ، منها كتب اهتمت بالمدينة قبل العثمانيين ثم العصر العثماني بما فيها كتب التاريخ العثماني . وقد قسم البحث إلى عدة فقرات يبدأ بالحركة العلمية في الموصل قبل العصر العثماني ثم الحركة العلمية في العصر العثماني ومن ثم تأسيس المدارس حتى العصر الحديث ، وأخيرا العهد العثماني الأخير حتى الحرب العالمية الأولى ومن الله نطلب التوفيق .

Education during the Ottomans Period

Lecturer Dr. Noori a- abdul Kadir   Lecturer Dr. Dhafir Abdul Nafi

Abstract:

Mosul had not ever received a notable interest from the Ottomans like other Iraqi cities . No changes had taken place in the realm of education and this may have been due to the problems which the Ottomans faced as a result of neglegance Baghdad faced from the

previous authorities. However, the activities that can be found during that period were carried out by Al-Jalelien who ruled this city from 1726 to 1834 A.C. They built new free schools a matter which contributed in educating people ; some of them started the renaissance in the middle the 19 th century where modern schools were established . Another reason behind this progress is the Christian Missions which contributed in establishing new schools despite of their implied purposes . Furthermore they established printing houses a matter which pushed the renaissance forward in Mosul . Schools at the first decades of the 20 th century played a vital role in awakening the spirit of liberation in the young people to resist the Ottomans and the British occupation during the first world war .

١ـ مدخل :

تعد عملية التربية والتعليم من العوامل المهمة والأساسية في رقي الأمة ، وقد أولى الإسلام أهمية كبيرة لذلك ، عندما نزلت أول آية من القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾(١) ولما كانت عملية التربية والتعليم من العوامل الأساسية التي تسهم في تحول المجتمعات نحو التقدم ، فأن غاية التربية كما يشير جون ديوي : (ان الغرض من التربية هو نمو القدرات المستمر مع مراعاة الفروق الفردية وتوفير الصحة البدنية والذوق الفني الراقي والقدرة على استغلال وقت الفراغ والتفكير الناقد المستقل ، هذا مع اجادة الوسائل التي تفتح للمرء سبل الوصول إلى نتاج الحضارة الماضية)(٢) . ولكن هاتان الكلمتان ليستا مترادفتين ، أي التربية والتعليم ، بل بينهما بعض الفروق ومن جملة تلك الفروق هي :

١. ان التربية تتناول الجسم والعقل والخلق ، ولكن التعليم قاصر على العقل.
٢. ان التعليم مع تناوله الناحية العقلية وحدها قاصرعلى مجرد إيصال المعلومات المختلفة في الذهن، ولكن التربية تضيف الى هذا الاتصال أن يكون بطريقة منظمة تحمل على التفكير،

---

(١) القرآن الكريم ، سورة القلم ، آية ١- ٥ .

(٢) رياض محمد عسكر ، التربية وأثرها في المجتمع ، القاهرة : ١٩٤٨، ص ص٢٧- ٢٨ .

وأن يصحب ذلك الانتظام تدريب ممكن الانتفاع بالمعلومات واستخدامها في الحياة فالعمل في التعليم مقتصر على المعلم ولكن في التربية شراكة بينه وبين المتعلمين .

٣. ان التعليم قد لايرمي إلى غرض سامي ، مثلما اذا كانت المعلومات ضارة في ذاتها ، أو صالحة لأن تستخدم في الأضرار بينما التربية لا تعترف الا بالنافع المفيد[١] .

لقد كانت مدينة الموصل من المدن العربية القديمة والتي أسهمت بشكل مباشر في خدمة الحضارة الإسلامية وتقدمها ، وكان موقعها يعتبر نقطة وصل مباشر بين الشمال والجنوب والشرق والغرب ، فقد نبغ فيها الكثير من العلماء الذين أسهموا في خدمة الحضارة الإسلامية في شتى الاتجاهات ، فيذكر عنها الجغرافي المقدسي بقوله : (كثير العلماء والمشايخ لايخلو من اسناد عال وفقيه مذكور)[٢] ، واما ياقوت الحموي فيقول : (وأما ما ينسب إلى الموصل من أهل العلم فأكثر من أن يحصوا ولكن نذكر من أعيانهم وحفاظهم ما ربما احتيج إلى كثير من الوقت عند الكشف عنهم)[٣] .

وقد تأسست في مدينة الموصل الكثير من المدارس التي بنيت لغرض تدريس الطلبة وإعداد العلماء كانت في بداية أمرها ملحقة بالجوامع ثم استقلت عنها فيما بعد ولقد ترك لنا ابن جبير وصفاً لبعض هذه المدارس والتي كانت موجودة حين زيارته للموصل سنة ٥٨٠هـ / ١١٨٤م فيقول : (وفي المدينة مدارس للعلم نحو الستة او ازيد على دجلة تلوح كأنها القصور المشرفة)[٤]. حيث كانت الموصل قد بلغت فيها الحركة العلمية أوجها في عهد الدولة الأتابكية من سنة ٥٢١-٦٦٠ هـ / ١١٢٧- ١٢٦١م ، فقد بنيت فيها الكثير من المدارس والجوامع ومداس الحديث ، ويرجع انتقال التعليم من المساجد إلى المدارس إلى سنة ٤٠٩هـ / ١٠١٨م ، حيث بنى نظام الملك أولى المدارس النظامية والتي سميت باسمه ، وقد ذكر ابن خلكان ذلك بقوله : (ان الوزير السلجوقي نظام الملك الطوسي المتوفى سنة ٤٥٨هـ / ١٠٦٥م أول من احدث المدارس في الإسلام)[٥] ، وان أول مدرسة أُنشئت في بغداد سنة ٤٥٧هـ / ١٠٦٤م الأ اننا نجد ان هناك مدارس أنشئت قبل نظام الملك كما يشير الأستاذ ناجي معروف فيقول : (كما تبين لي نتيجة تلك الدراسة ان النظامية ومدرسة ابي حنيفة لم تكونا أول المدارس الإسلامية التي أُنشئت وإنما أُنشئ قبلهما فيما وراء النهر وخراسان

---

(١) السباعي البيومي ، التربية وطرق التدريس واتصالهما بعلم النفس ، مطبعة أبو الهول ، مصر : د.ت ، ص٢.

(٢) البشاري شمس الدين المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة ألأقاليم ، لندن : ١٩٠٩، ص١٩٧.

(٣) ياقوت بن عبدالله الحموي ، معجم البلدان ، ج٥ ، بيروت : ١٩٥٧، ص٢٢٣.

(٤) ابن جبير ، رحلة ابن جبير ، تحقيق حسين نصار ، القاهرة : ١٩٥٥م ، ص١٨٩ .

(٥) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج١ ، القاهرة : ١٩٤٨م ، ص٣٩٦ .

مدارس عديدة قبل النظامية بأكثر من ١٦٥ سنة)[١] فقد ذكر أن اسماعيل بن احمد بن أسد بن سامان المتوفى سنة ٢٥٩هـ / ٩٠٧م كانت له مدرسة يقصدها الطلاب ليكملوا دراستهم فيها وليبحثوا بدار كتبه التي تولتها الأوقاف [٢].

٢. عهود ما قبل السيطرة العثمانية :

لايختلف اثنان من الباحثين في مجال التاريخ ان العراق بحواضره المهمة مثل (بغداد والبصرة والموصل والكوفة) في العهد العباسي كانت المكان الذي يستقطب طلاب العلم والمعرفة من مختلف جهات العالم ، ألا ان هذا التطور الحضاري لم يهنأ به العراقيون نظراً للظروف السياسية التي أحاطت بالمنطقة والتي شملت المشرق العربي عامة والعراق خصوصاً ، فعلى امتداد قرون عديدة بعد الغزو المغولي ساد العراق أوضاع الفوضى والاضطراب السياسي بحيث حاولت أكثر من قوة سياسية ان يكون لها وجود خلال هذه الفترة، وان تعمل على فرض سيطرتها لاعتبارات سياسية واقتصادية او لاعتبارات أخرى ، فقد سيطرعلى هذا البلد على التوالي المغول ألأيلخانيون ١٢٥٨ـــ ١٣٣٧م والجلائريون ١٣٣٧ـ ١٤١١م ودولتا التركمان ١٤١١ـ ١٥٠٨م ثم الفرس الصفويون ١٥٠٨ـــ ١٥٣٤م حتى الفتح العثماني على يد السلطان سليمان القانوني سنة ١٥٣٤م فضلاً عن الكوارث الطبيعية التي ألمت بالبلاد من أمراض وفيضانات[٣] ، ولم ينج منها حقل التربية والتعليم والذي أصابه الخراب والدمار مثل جوانب الحياة الأخرى ، بل ان نصابه كان الشيء الكثير، لقد تدنت قيمة العلماء ومركزهم بحيث لم يعد هناك من يرعاهم ، ومن بقي منهم على قيد الحياة هاجر إلى الأمصار الإسلامية الأخرى خوفاً على حياته ، كذلك لم تنج دور العلم من الخراب فالمكتبات الزاخرة بالكتب قد دمرت محتوياتها ، لا بل ان الكثير من تلك الكتب ألقيت في نهر دجلة ، فكان لابد ان يتراجع وتيرة العلم والمعرفة ، وحري بهذه الفترة ان تطلق عليها تسمية (الفترة المظلمة) ومنذ ذلك التاريخ اخذت النكبات تترى على العراقيين ، حتى انشغل الناس بأمور حياتهم المعاشية لاسيما بعدما أصبح العراق لقمة سائغة للأجنبي ، فلا غرو ان هجرت فيه دور العلم ومعاهد التدريس ، لان الحروب والمعارك والفتن والمشاحنات التي دارت فيه كانت كافية ان تعرض السكان للقتل والمجاعة والتشريد ، كل هذه الأسباب

(١) ناجي معروف ، مدارس قبل النظامية ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، مجلد ٢٢ / ١٩٧٣م .

(٢) المصدر نفسه ،

(٣) يراجع عبد الرزاق الهلالي ، تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني ١٦٣٨- ١٩١٧، بغداد : ١٩٥٩، ص ص٣١- ٣٩ .

كانت لها مردود كبير في ان يعزف الناس عن التعليم لأنهم في مثل هذه الظروف كانوا بحاجة إلى ضمان لقمة العيش والأمن والاستقرار قبل أي شيء آخر[١].

٣ـ فترة السيطرة العثمانية إلى الإصلاحات ١٥١٦ – ١٨٣٩م :

اما فيما يتعلق بالفترة العثمانية ، ففي الحقيقة انهم لم يختلفوا عمن سبقهم بكثير وخاصة انهم ورثوا تركة مثقلة بمعطيات اتسمت بالركود والتراجع ، لكن الشيء المختلف في العهد العثماني هو على الرغم من فترات التداخل والتحارب مع الفرس الا انهم حكموا العراق أطول مدة عمن سبقهم ، فضلاً عن ان الحكم العثماني في أدواره الأولى اتسم أيضاً بمركزية محدودة اتسع المجال فيها لقوى محلية يعود لها الفضل في قيادة عملية التحولات نوعا ما ، كالمماليك في بغداد ١٧٠٤ – ١٨٣١م والجليليون[٢] ١٧٢٦ – ١٨٣٤م في الموصل وأُسرة افراسياب في البصرة ، لكن الدولة العثمانية بشكل عام ومنذ نشأتها وحتى صدور التنظيمات الخيرية لم تتصب اهتماماتها الا في النواحي العسكرية والمالية ، فكانت دولة عسكرية الطراز انحصرت مهامها في تحقيق هدفين أساسيين ، أولهما الدفاع عن حدود هذه الدولة تجاه الأطماع الخارجية والانشقاقات الداخلية ، وثانيهما هو تمويل مؤسسات الدولة من الناحية المالية من خلال جباية الضرائب التي أثقلت كاهل السكان في مختلف أرجاء البلاد العثمانية ، بحيث انها في بعض الأحيان كانت سببا لإثارة الاضطرابات والعصيان ضد السلطة ، وخاصة اذا ما علمنا ان هذه الموارد أساساً كانت تعتمد على نظام الإقطاع الزراعي وتعقيداته الذي كان يسبب مشاكل كثيرة[٣] .

اما الجوانب الأخرى الاقتصادية والاجتماعية والثقافية فقد عدتها من مسؤولية مواطنيها ، وتبعا لذلك استمر التدهور يسري في كيان الدولة على مختلف المستويات بسبب الجمود الفكري والحضاري وإهمال هذه الدولة لجوانب العلم والمعرفة والاقتصاد مما انعكس سلبا على أوضاع الإمبراطورية عامة والوطن العربي بشكل خاص فأصبح المجتمع العثماني فريسة للتخلف والفقر وانتشار الأمراض ، وربما كانت الموصل من بين الولايات الأكثر تضررا ، لكونها تحملت أعباء فترة زمنية طويلة تحت نير الحكم العثماني الذي امتد ما بين ١٥١٦ – ١٩١٨م . ومنذ ان دخل العثمانيون البلاد العربية وطيلة الثلاثة قرون الأولى من

---

(١)الهلالي ، المصدر السابق، ص ص٣٧- ٣٨ .

(٢) لمعرفة التفاصيل عن حكم هذه الأُسرة يراجع عماد عبد السلام رؤوف ، الموصل في العهد العثماني (فترة الحكم المحلي ١٧٢٦ -١٨٣٤) ، النجف ١٩٧٥.

(٣) لمعرفة التفاصيل عن هذا الموضوع ، انظر عماد احمد الجواهري ، الأوضاع الإقطاعية في فلسطين في العصر الحديث ، جامعة بغداد : ١٩٨٣ ، الفصل الأول ص ص ١١- ٣٠ .

حكمهم لها ، بقيت هذه المنطقة في عزلة تامة عن العالم الخارجي ، في وقت حققت فيها اوربا نهضة علمية وثقافية فتحت لها آفاقاً جديدة قلبت أوضاعها رأساً على عقب وأعطتهـا مركـز القيادة على العالم بأسره أما العرب فلا اختراع ولا تقدم في العلـوم والصـناعة بـل أصـبح الجمود الفكري من أبرز سماته وبقي تطور العلم ترديد لما ورد في الكتب الفقهيـة والنحويـة والصرفية [١] . اما العراق فكان نصيبه من العلم والثقافة أقل من غيرها من الولايات العربيـة الأخرى ، ألا أنه حافظ على بعض التقاليد التعليمية في عصور ألفوضى ألتي تلـت احـتلال المغول عام ١٢٥٨م ، وكانت بغداد والبصرة والموصل والنجف وكربلاء من أهـم مراكـزه الثقافية[٢] . ومن البديهي أن العلم والمعرفة وإنشاء مؤسساتها يسير بشكل مواز لتطور مجالات الحياة الأُخرى وبالأخص ألاقتصاد الذي يحدد المستوى المعاشي للمجتمع إضافة إلـى حالـة ومدى استقرار الأمن المقترن بمدى قوة الدولة وضعفها . ففيما يتعلق بالموصـل وضـواحيها أسوة بمناطق العراق الأخرى اذا استثنينا منها ألعهد الجليلي ، فأنها نادراً ماشهدت ألاسـتقرار السياسي ، فالاضطرابات وحالات الشغب كانت هي الغالبة على أوضاع هذه المدينة سواء في الفترة التي سبقت ألعثمانيين أو أثناء حكمهم ، فالموصل تعرضت لهجمات هولاكو وتيمورلنـك فضلاً عن غزو نادرشاه ، وكان في كل مرة يخلف دماراً لـم تسـلم منهـا حتـى المـدارس وخزانات الكتب ، ناهيك عما كانت تخلفه الأمراض والكوارث الطبيعية في الحقـب ألزمنيـة المتتالية ، ففي واحدة من هذه ألكوارث سنة ١٧٢٢م ذهب ضحية وبـاء ألكـولير عشـرات ألآلاف من السكان ، وجاءت أوبئة أخرى في الأعوام ١٧٥٩ ، ١٧٧٢ ، ١٨٢٨م قضت على آلاف السكان[٣] . وعلى الرغم من تلك المعاناة فقد ظلت الموصل شأنها شأن مراكز العـراق الأخرى المهمة كانت قد حافظت على بعض من تراثها ألثقافي ومؤسساتها ألعلميـة ، بـل أن الحركة ألعلمية فيها قد تجاوزت تلك الظروف في بعض الحقب التاريخية كالعهد الجليلي مثلاً، بحيث أضحت الموصل من المدن المهمة التي يشد اليها الرحال من قبل طلبـة العلـم بسـبب نشاطها في مجال الحركة العلمية [٤] . ان أول جهد منظم في مجال ألتعليم في الموصل يعـود الى عهد نظام الملك الذي أسس مدرسة نظامية الموصل ، والتي يشير أليها ألسبكي في طبقات الشافعية حين يقول (تسعاً من هذه المدارس التي عرفت بالنظاميات وهي نظامية بغداد وبلخ و

---

(١) علي المحافظة ، ألاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضـة ١٧٩٨ / ١٩١٤ ، ط٣، بيـروت : ١٩٨٠ ، ص١١.

(٢) المصدر نفسه ، ص١٤ .

(٣) صليبا شمعون ، تاريخ ابريشية الموصل السريانية ، بغداد : ١٩٨٤ ، ص ص٢٢ ــ٢٥ .

(٤) ياسين بن خير ألله ألعمري ، منية الأدباء في تاريخ موصل ألحدباء ، الموصل ، د- ت ، ص١١ .

نيسابور وأصبهان و البصرة ومرو ومراحل طبرستان والموصل[١] . ويذكر سعيد الديوه جي أن المدرسة النظامية في الموصل تقع قرب الجامع النوري الكبير ، وأنها تعرف ألان بمقام علي ألاصغر ، كما يذكر اسم ستة عشر مدرسة أخرى في الموصل في العهد ألاتابكي[٢] . وقد ظلت المدارس في العهد ألعثماني من حيث تطورها أستمراراً للعهود ألسابقة ، ويشير الديوه جي بأن قسماً من هذه المدارس كانت قديمة وقسم منها تم تجديدها في العهد العثماني ، منها مدرسة الجامع المجاهدي نسبة الى مجاهد الدين قيمار ، أي جامع الخضر ، وكذلك المدرسة الكمالية في جامع شيخ الشط [٣] ومدارس أخرى[٤] .

لقد شهد فترة الحكم الجليلي في الموصل تطوراً مهماً على صعيد التعليم وزيادة عدد المدارس ، فقد ساهم الجليليون في النهضة العلمية عندما بذلوا جهداً متميزاً في سبيل نشر الثقافة من خلال تلك المدارس التي أشادوها[٥]، والتي أصبحت من السمات البارزة لهذا العهد، فقد شهدت الموصل منذ الربع الأول من القرن الثامن عشر الميلادي اهتماماً خاصا بتشييد المداس وتزويدها بما تحتاج اليه من كتب ومال ، وكان من بين أهم المنشآت الثقافية مدرسة الحاج محمود علي النومة المشيدة عام ١١٢٠هـ / ١٧٠٨م ، ومدرسة محمد اغا السعرتي المشيدة سنة ١١٢٧هـ / ١٧١٥م ، ومدرسة ياسين افندي المفتي الموصلي المتوفى سنة ١١٣٥هـ / ١٧٢٢م[٦] ، ويشير المرجع نفسه على ان هيمنة القوى المحلية على أمور الولاية الولاية الداخلية قد زاد بطبيعة الحال من الإسراع في بناء المدارس وانجازها ، مثل دور القرآن والحديث باعتبارها وسيلة لتخريج فئة مثقفة واعية بإمكانها القيام بأعباء المناصب الحكومية والشرعية في الولاية ، ويبدوا ان اهتمام الجليليين بهذا المرفق الحضاري سابقاً لتوليهم السلطة ذاتها ، ففي عام ١١٢٩هـ /١٧٠٢م بنى سيد خليل آغا بن عبدالجليل مدرسة في فناء جامع الأغوات وفي عام ١١٢٩هـ / ١٧١٦م بنى اسماعيل آغا الجليلي مدرسة في

---

(١) عبد الوهاب السبكي ، طبقات الشافعية ألكبرى ، ج٤ ، مصر : ١٣٢٤ هـ ، ص ص٣١٣ – ٣١٤ .

(٢) سعيد الديوه جي ، تاريخ الموصل ، ج١ ، جامعة الموصل : ١٩٨٢، ص٣٤٤ .

(٣) وهي المدرسة الاتابكية التي أسسها زين الدين ابو الحسن سنة ٥٦٣هـ وأصبحت فيما بعد جامعاً واتخذ منها المتصوف محمد الأفغاني تكية في فناء المدرسة ولوقوع المدرسة على شاطئ دجلة فسمي الجامع باسمه وغلب عليه اسم جامع شيخ الشط . سعيد الديوه جي ، جوامع الموصل ، مطبعة شفيق ، بغداد : ١٩٦٣ ، ص ١٢٣.

(٤) سعيد الديوه جي ، مدارس الموصل في العهد العثماني، مجلة سومر، المجلدان ١٨- ١٩/ ١٩٦٢ ، ص١٠ .

(٥) الهلالي ، المصدر السابق ، ص٨٣ .

(٦) رؤوف ، المصدر السابق ، ص٤١٥ .

فناء جامع النبي جرجيس لتدريس القراءات والعلوم القرآنية ثم سرعان ما نشطت هذه الحركة أكثر اثر استقرار الحالة السياسية فكان العطاء في هذا المجال يزداد بشكل أكثر(١) ، وعلى اثر هذا الاهتمام أضحت الموصل من المدن المهمة في مجال الحركة العلمية فأخذ يقصدها العلماء والأدباء وأرباب الصنائع من مختلف البلاد(٢) .

وبالإضافة لما حققه الجليليون من تطور في مجال بناء المداس وزيادة أعـدادها فقـد استجد في هذا العهد عامل آخر كان له الفضل أيضاً في تطور النهضة العلمية سواءً من خلال بناء المدارس او الاتصال مع الغرب وما حققه من تطور في مجالي المدنية والعلوم والمعرفة، وكان هذا العامل يكمن في نشأة مدارس الطوائف المسيحية والتي أسهمت فيهـا الإرسـاليات التبشيرية ، وعلى الرغم من الأهداف التبشيرية لتلك المدارس الا انها بالتأكيد قد ساعدت على ظهور نوع من المدارس الحديثة التي اهتمت بمجالات العلوم والمعرفة الحديثة التـي افتقـدت اليها المدارس الأخرى والتي كانت مناهجها لا تتعدى علوم الدين والقراءات ، فكانت إضـافة جديدة للحركة العلمية وتطور التربية والتعليم لهذه المدينة ، وكان الآباء الدومينيكيون هم مـن سبقوا غيرهم في هذا المجال عندما وصلوا إلى الموصل عام ١٧٥٠م وبدأوا بفـتح مدارسـهم كما أسسوا مطبعتهم بعد ذلك في عام ١٨٦٠ ، فهي أول مطبعة شـهدتها الموصـل ، والتـي أسهمت في طبع عدد من الكتب باللغات الثلاث العربية والسريانية والفرنسـية والتـي كانـت تحوي على أُصول حديثة لتعليم الناشئة، وتم نشر هذه الكتب في مدينة الموصل وضواحيها(٣). وأقبلت على الموصل في عام ١٨٧٣م الراهبات أخوات المحبة وأسهمن في التعلـيم والتربيـة من خلال فتح المدارس والقيام بتعليم وتدريب النساء على القراءة والكتابة والتطريز(٤) ، هـذا علما ان تعليم البنات قبل هذا التاريخ كان مهملا يعده الناس ضرباً من الطيش . وبالإضافة لما ذكرناه فقد أسهمت المدارس الكاثوليكية أيضاً بحركة التعليم في الموصل فكانت تتلقـى الـدعم المادي والمعنوي من فرنسا التي كانت تعد نفسها حامية للكاثوليكيـة ، فكـان لقنصـلها فـي الموصل حق الإشراف على مدارسها(٥) . وإضافة إلى المدارس التبشيرية كانت هناك مدارس مدارس مسيحية أهلية في الموصل مثل مدرسة الكلدان التي أسسها ألشماس روفائيل مـازجي

(١) المصدر نفسه ، ص ص ٤١٦-٤١٧ .

(٢) داؤود الجلبي الموصلي ، مخطوطات الموصل ، بغداد : ١٩٢٧ ، ص١٧؛ سـليمان صـائغ ، تـاريخ الموصل ، ج١، مصر : ١٩٢٣، ص٣٢١ .

(٣) المصدر نفسه ، ص٣٢٣ .

(٤) روفائيل بابو اسحاق ، تاريخ نصارى العراق ، بغداد : ١٩٤٨ ، ص١٤٤ .

(٥) إبراهيم خليل احمد، تطور التعليم ألوطني في العراق ١٨٦٩- ١٩٣٢ ، ط٢، البصرة : ١٩٨٧ ،ص٤٣.

في سنة ١٨٦٣ ثم أكمل بنائها بطريك الكلدان يوسف عما نويل الثاني ، وكانت تدرس ألعلوم الحديثة واللغات الأجنبية وخاصة الفرنسية[(١)] ، كما كانت هناك مدرسة مار توما للبنين لايعرف بالضبط تاريخ تأسيسها ، لكن البعض يرجعه إلى سنة ١٨٨٠م ، وأن أقدم وثيقة تشير إلى هذه المدرسة وجدت سنة ١٩١٣م حيث قدمت هذه المدرسة رواية على المسرح بعنوان (سجين الظلام) وهذا يعني ان هذه المدرسة كانت موجودة قبل هذا التاريخ[(٢)] . اما المدارس اليهودية فلم تكن في الموصل سوى مدرسة واحدة ظهر اختلاف في تاريخ تأسيسها فقد وردت إشارة في سالنامة الموصل لسنة ١٣١٠هـ / ١٨٩٢م على وجود مدرسة يهودية موسوية في الموصل[(٣)] ، بينما يشير مصدر آخر ان هذه المدرسة هي فرع من مدرسة الاليانس والذي افتتح عام ١٩٠٧م وبلغ عدد طلابها عام ١٩١٠م (٢٠٤) طالباً[(٤)] . لقد كان هذا العهد متميزاً بالنشاط العلمي في مختلف اختصاصاته بحيث تجاوزت حلقات الدين والفقه واللغة إلى مجالات الشعر والقصة والرواية والمسرح وبرزت أسماء لامعة أسهمت بنتاجاتها في هذه الاتجاهات حيث ظهرت المقامات والتي هي نوع من المقطوعات الشعرية لأغراض علمية وغيرها كمقامة السيد خليل البصير ١٧٨١م ومقامة السيد فتح الله القادري المتوفى عام ١٧٨٦م ، واللتان تضمنتا تمجيداً لبطولات الموصليين وصمودهم تجاه هجمات نادرشاه لمدينة الموصل عام ١٧٤٣م[(٥)] كما برزت في هذه الفترة أُسر علمية عديدة اشتهر العديد من أبنائها بمختلف العلوم كالفقه والتفسير والنحو والمنطق والرياضيات والهندسة والطب ، ومن هؤلاء العلماء الشيخ محمد أمين بن خيرالله الخطيب العمري الذي أغنى المكتبة الموصلية بنتاجاته القيمة في العلوم والآداب واللغة والتاريخ من أشهرها ، تاريخ الموصل / منهل الأولياء ومشرب الأصفياء من سادات الموصل الحدباء ، ت ١٢٠٣هـ / ١٧٨٨م ، ومن هؤلاء كذلك السيد عبدالله بن فخر الدين الأعرجي وكذلك سليم الواعظ ت ١١٩٢ هـ / ١٧٧٨م الذي كان متفوقاً في الجغرافية والحساب والاسطرلاب ، وكان يقصده الطلاب من بغداد ليأخذوا العلم عنه ومنهم الشيخ عبدالله السويدي ت ١١٧٤هـ / ١٧٦٠م الذي يذكر بأنه رحل إلى الموصل

(١) مراد ، خليل علي ، أوضاع التعليم في الموصل منذ منتصف ق١٩ حتى نهاية الحرب العالمية ألاولى ، مجلة دراسات موصلية ، العدد الثامن ، آذار ، ٢٠٠٥ ، ص٩ .

(٢) شمعون ،المصدر السابق ،ص٧٢.

(٣) مراد ، المصدر السابق ، ص٩ .

(٤) فاضل البراك ، المدارس اليهودية والإيرانية في العراق – دراسة مقارنة ، بغداد : ١٩٨٤ ، ص٣١ .

(٥) لمعرفة التفاصيل عن الحركة العلمية في الموصل ودورها في النهضة يراجع نوري احمد عبدالقادر ، الموصل والحركة القومية العربية ١٩٢٠- ١٩٤١ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة الموصل : ١٩٨٨ ، ص ص ١٦- ١٨ .

ودرس عليه علم الهيئة ووسائل الاسطرلاب ، ومن العلماء الآخرين عبدالباقي بن احمد ت ١١٤٤هـ / ١٧٣١م وجورجيوس الالقوشي ت ١١١٢هـ / ١٧٠٠م واحمد الجميلي ت ١١٧٢هـ / ١٧٥٨م وملا إبراهيم الوقاد ت ١١٩٢هـ / ١٧٧٨م والشيخ حموسي الحدادي ت ١١٨٦هـ / ١٧٧٢م والشيخ محمد النوري ت ١٣٠٥هـ / ١٨٨٧م واحمد بن الخياط الموصلي ت ١١٩٥هـ / ١٧٨٠م وعبد الوهاب بن الحاج حسن الجوادي ت ١٢٤٧هـ / ١٨٣١م وملا علي الكوراني ت ١٠٩٤هـ / ١٦٨٢م ومحمد افندي بن يوسف افندي الكردي ت ١١٢٥هـ / ١٧١٣م والشيخ عبدالله الربتكي المدرس ت ١١٥٩هـ / ١٧٤٦م وكثير غيرهم[١] ويشير الديوه جي إلى ان عدد المدارس ودور القرآن في الموصل بلغت في هذا العهد حوالي خمسين مدرسة[٢] الا اننا تمكنا من العثور على اسم (٤١) مدرسة في هذا العهد وهي كما يلي :

١- المدرسة اليونسية في جامع النبي يونس (ع) ، أنشئت حوالي سنة ١٠٠٠ هـ / ١٥٩١م. ٢- دار القرآن اليونسية في جامع النبي يونس(ع) . ٣ـ مدرسة طه أفندي محضر باشي بجوار جامع النبي جرجيس قبل سنة ١٠٣٩هـ / ١٦٢٩م . ٤ـ المدرسة العمرية في جامع العمري بعد سنة ١٠٠٠هـ / ١٥٩١م . ٥ـ مدرسة جامع الجويجاتي في محلة باب الجديد بعد سنة ١٠٦٠هـ / ١٦٩٥م . ٦ـ جامع العبدال ١٠٨٠هـ / ١٦٦٩م . ٧ـ المدرسة الخزامية في جامع خزام ١١٠٧هـ / ١٦٩٥م . ٨ـ المدرسة الجليلية في جامع ألأغوات ١١١٤هـ / ١٧٠٢م . ٩ـ مدرسة الحاج محمود النومة في مسجد الخزرج ١١٢٠ هـ / ١٧٠٨م . ١٠ـ مدرسة محمد أغا السعرتي في محلة الإمام عون الدين ١١٣٧هـ / ١٧٢٤م . ١١ـ دار القرآن الجرجسية في جامع النبي جرجيس (ع) ١١٢٩هـ / ١٧١٦م .١٢ـ مدرسة ياسين افندي المفتي في خان المفتي قبل سنة ١١٣٥هـ / ١٧٢٢م . ١٣ـ المدرسة ألامبثية في جامع الباشا ١١٦٩هـ / ١٧٥٥م . ١٤- مدرسة مسجد شيخ ابي العلاء (جدد عمارته سنة ١١٧٦هـ / ١٧٦٢م . ١٥ـ دار القرآن الرابعية في جامع الرابعية ١١٨٠هـ / ١٧٦٦م . ١٦ـ المدرسة المحمدية في جامع باب البيض أو الزيواني ١١٩٣هـ / ١٧٧٩م . ١٧ـ مدرسة جامع العرافدة في محلة حمام المنقوشة ١١٩٤هـ /١٧٨٠م . ١٨ـ مدرسة الحاج زكريا في محلة باب الجديد ١٢٠١هـ /١٧٨٦م . ١٩ـ المدرسة الاحمدية في جامع باب السراي ١٢٠٢هـ / ١٧٨٧م . ٢٠ـ مدرسة يوسف أفندي في جامع بكر افندي في محلة رأس ألكور ١٢٠٧هـ / ١٧٩٢م . ٢١ـ مدرسة محمود الجليلي في

(١) سعيد الديوه جي، تاريخ الموصل، ج٢، دار الكتب ، جامعة الموصل : ٢٠٠١ ، ص ص ١٩٧ – ٢٥٨.
(٢) الديوه جي ، مدارس الموصل ، ص١٠ .

محلة جامع المحمودين ١٢١٢هـ / ١٧٩٧م . ٢٢ـ مدرسة بكر أفندي في جـامع جمشـيد ١٢١٢هـ / ١٧٩٧م . ٢٣ـ المدرسة النعمانية في جامع النعمانيـة ١٢١٣هـ / ١٧٩٨م . ٢٤ـ مدرسة جامع النوكندي قبل سنة ١٢٧١هـ / ١٨٥٤م . ٢٥ـ مدرسـة احمـد باشـا الجليلي في جامع النبي شيت ١٢٣٢هـ / ١٨١٦م . ٢٦- المدرسة الحسـينية ودار القـران بالقرب من حمام قره علي ١٢٣٢هـ / ١٨١٦م . ٢٧ـ المدرسة المحموديـة مقابـل جـامع الرابعية ١٢٣٢هـ / ١٧١٦م . ٢٨ـ مدرسة جامع باب الطوب ١٢٣٢هـ /١٨١٦م . ٢٩ـ مدرسة ابن الحبار ، غربي جامع النبي جرجيس (ع) ١٢٣٥هـ / ١٨١٩م . ٣٠ـ مدرسـة الحجيات بجوار حمام باب البيض قبل سنة ١٢٣٩هـ / ١٨٢٣م . ٣١ـ مدرسة يحـي باشـا الجليلي خلف جامع النعمانية ١٢٤١هـ / ١٨٢٥م . ٣٢ـ مدرسة الخاتون في جامع الخاتون ١٢٤١هـ / ١٨٢٥م . ٣٣ـ مدرسة الخزندار بجوار مسجد الصوفية ١٢٤١هـ / ١٨٢٥م . ٣٤ـ مدرسة الجابي وتعرف أيضاً بمدرسة الصائغ ١٢٥٠هـ / ١٨٣٤م . ٣٥ـ مدرسة ابن الخياط على شارع سوق الشعارين في فناء مرقد إبراهيم الجراحـي ١٢٥٧هـ / ١٨٤١م . ٣٦ـ مدرسة محمود بك محضر باشي في محلة باب النبي بالقرب من مسجد الشـالجي وقـد رممت سنة ١٢٦٤هـ / ١٨٤٧م . ٣٧ـ مدرسة الحاج حسين بك في جامع السـلطان ويـس ١٢٦٩هـ / ١٨٥٢م . ٣٨ـ مدرسة مسجد بنات الحسن سنة ١٢٧٠هـ / ١٨٥٣م . ٣٩ ـ مدرسة عبدالله بك في رأس الكور ١٢٨٥هـ /١٨٦٨ م . ٤٠ ـ مدرسة الحاج عبدالله حمـو القدو ١٢٩٨هـ /١٨٨٠م . ٤١ـ مدرسة عثمان الديوه جي في مسجد منصور الحـلاج فـي محلة باب المسجد ١٣٢٧هـ / ١٩٠٩م[1] . ويضيف الهلالي أسماء ثـلاث مـدارس أُخـرى فيعدها (٤٤) مدرسة[2] ، ومن الملاحظ ان اكثر هذه المدارس كما يشير لنا احد المصادر قـد استمرت في عملها الى جانب المدارس الرسمية التي تأسست من قبـل الحكومـة العثمانيـة ، حيث ورد اسم (٣٣) مدرسة واحدة منها اعدادية للبنين واخرى رشدية للبنات امـا المـدارس الاخرى فجميعها ابتدائية واكثرها ملحقة بالجوامع وهي مدارس ذات معلـم واحـد فقـط ورد اسمه مع اسم المدرسة كما ورد اسم مؤسسها ايضاً ، اما المدرسة الاعدادية التي عدد ملاكهـا اضافة الى المدير (٩) مدرسين بينهم اثنان من العسكريين برتبة يوزباشي وملازم اول ، امـا المدرسة الرشدية للبنات فكان لها معلمتان معلمة اولة وثانية وعدد طالباتها بلغ (٢٠) طالبة اما

---

(١) عماد الدين خليل ، ملاحظات عن تراث الموصل ، مجلة سومر، المجلد٣٨ /١٩٨٢، ج١- ٢،ص ٢٤٥.

(٢) اشارت احدى الباحثات على ان عدد مدارس الموصل في نهاية القرن التاسع عشر كانت قد بلغت (١٧٥) مدرسة جميعها مرتبطة بالاوقاف ، لكن الباحثة لم تشر الى أي مصدر يدعم هذا القول الذي لايخلو مـن مبالغة . ينظر : سارة شلدز ، الموصل قبل الحكم الوطني في العراق (خلية نحل تصنع بيوتـاً مخمصـة الاظلاع) ، ترجمة باحثة الجومرد ، ط١ ، الموصل : ٢٠٠٨ ، ص٢٦ .

طلبة المدارس الابتدائية فيبدو ان عدد طلبة بعض هذه المدارس لايتجاوز طالبين او ثلاثة فقط، لا بل ورد اسم مدرسة لايوجد فيها اي طالب ، وتبين ان عدد طلبة (٣١) مدرسة ابتدائية هم (٢٤٧) طالباً ، وعلى سبيل المقارنة يظهر ان الاقبال على التعليم كان محدودا للغاية بدليل احصائية وردت عن عدد الطلبة للسنة الدراسية ١٣١٥- ١٣١٦هـ / ١٨٩٧- ١٨٩٨م توضح عدد الطلبة في مركز مدينة الموصل والذين هم (٣٤١) طالبة هذا بضمنهم طلبة المدرسة الاعدادية للبنين والرشدية للبنات ، ويظهر ايضا عدم وجود فرق واضح بين عدد طلاب هذه السنة والسنوات الاحقة حتى سنة ١٣١٨هـ / ١٩٠٠م[١] ويبدو ان هناك اختلافات في اطلاق التسميات لبعض من هذه المدارس فهناك من يسميها بأسماء المساجد او الجوامع ، وهناك من يسميها بأسماء الأشخاص الذين ساهموا في بنائها مما يظفي طابعاً من الضبابية على تلك التسميات ، لكن أسماء أكثرية تلك المدارس متفق عليها بين مختلف الأطراف[٢] .

من الواضح ان نظام التعليم الحديث لم يدخل ولاية الموصل حتى بعد منتصف القرن التاسع عشر، كما يبدو ان الانجازات التي تحققت في مجال التعليم ابان العهد الجليلي قد تراجع بعد سيطرة الولاة الأتراك على مقدرات الحكم في الولاية ، ويؤكد سليمان الصايغ على ذلك حين يقول : (آلَ أمر الولاية لولاة أتراك أصابت المدارس فترة ركود لانشغال الحكومة في كبح جماح العصاة)[٣] ، ويبدو ان هذا الحال قد استمر في هذه الولاية حتى بعد صدور عهد التنظيمات ومن ثم تولي مدحت باشا ولاية بغداد ١٢٨٦هـ / ١٨٦٩م وهذا ما سنبحثه في صفحات لاحقة .

٤ـ نظام التعليم والمناهج :

كانت حال الموصل شأنها في ذلك شأن بقية المدن العربية والإسلامية فان مدارسها أيضاً ملحقة بالجوامع والمساجد او في دور خاصة حتى عندما خضعت للحكم العثماني بعد سنة ٩٢١هـ / ١٥١٥م وان الكثير من هذه المدارس كان قد شيدها الولاة والأُمراء وبعض المحسنين ووقفوا عليها العقارات الكثيرة ، وقد اشتهرت من بين هذه المدارس مدرسة جامع الباشا وجامع الرابعية وجامع النعمانية ومدرسة يحى باشا ، واشتهر من بين معلميها الشيخ يوسف العمري والشيخ قاسم المعروف بابن الخباز والشيخ علي محضر باشي والشيخ المفتي عبد الرحمن افندي الكلاك والملا محمد أمين افندي ابن الملا عبيدة وغيرهم ، ويشير داود

(١) لمعرفة التفاصيل عن هذه المدارس اسمائها وملاكاتها وعدد طلبتها يمكن الرجوع الى سالنامة نظارت معارف عمومية لسنة ١٣١٨هـ (دار الطباعة العامرة) ، ١٣٤٨، ص ص ١٥٧٤- ١٥٨١.

(٢) لأجراء مقارنة مع ما ذكرناه من أسماء المدارس يراجع، الهلالي، المصدر السابق ، ص ص ٨٤ – ٨٥.

(٣) الصايغ ، المصدر السابق ، ج١ ، ص٣٢١ .

الجلبي في (مخطوطات الموصل) على ان (٣٠) مدرسة من هذه المدارس كانت مرتبطة بالأوقاف إضافة إلى (٢٠) مدرسة دينية أُخرى منتشرة في أنحاء الولاية خارج مدينة الموصل[١] ، وفي هذا العهد ظهر صنف آخر من المدارس وبشكل واضح استجابة لزيادة الحاجة اليها لتدريس الناشئة وقد سميت بـ(الكتاتيب) وعلى أثرها أجيز دفع الأجور للمعلمين فظهرت (صناعة التعليم) بعد ان كان مجاناً في العهود التي سبقتها ، فكانت هذه الكتاتيب في أول الأمر ملحقة بالمساجد ، لكن وجد ان الأطفال لايمكنهم التحفظ من النجاسة مما دفع الفقهاء لان يفتوا بعدم جواز تعليم الصبيان في المساجد ، فظهرت الكتاتيب منفصلة عن المساجد حيث نهض بالتعليم فيها (معلم) هو الذي يستأجر (الكُتاب) ويتخذه مكاناً للتعليم وقد يشرك معه معلماً آخر أو أكثر تبعاً لعدد الصبيان ولكن في الغالب هو معلم واحد[٢] .

ولما كانت الحكومة العثمانية غير مسؤولة عن هذه الكتاتيب وليس لها اشراف عليها ولا سلطان فكان بإمكان أي شخص قاريء او حافظ للقرآن ان يتخذ التعليم مهنة او حرفة للكسب ، وان لم يكن على درجة من القدرة على التدريس وتربية الأطفال ، وفي العهد العثماني بات أكثر معلمي الكتاتيب لا يملكون من الثقافة الا حفظ القرآن الكريم وقراءة الأدعية مع احاطة بسيطة بأمور الدين[٣] ، واطلقت في هذا العهد تسميات عديدة على معلم الصبيان تبعاً لاختلاف المدن فقد سمي باسم (الشيخ)[٤] والملا[٥]وهذه التسمية الأخيرة كانت لاتزال موجودة ومعاصرة لنا ، فهي كانت لا تزال تعمل جنباً الى جنب المدارس الرسمية ، وكانت هي الأكثر انتشارا في العراق ، كما كانت هناك مؤدِبات للبنات من النسوة فكن يسمين (الملايات) ومفردها (ملاية)[٦] .

---

(١) الهلالي ، المصدر السابق ، ص ص٨٣-٨٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ص٥٤ .

(٣) المصدر نفسه ، ص٥٤ .

(٤) لقب للرجال والنساء الكبار السن الذين عرفوا بالتقوى ، وكذلك يطلق على رئيس العشيرة كما كان يسمى بعضهم بشيخ الطريقة الفلانية . ولكننا نجد بالتاريخ الإسلامي يطلق على العالم الذي يقوم بالتدريس فيقال نال الإجازة العلمية من الشيخ الفلاني وعليه ان يسمع المحدثين ويستمع لما يقراؤونه عليه لفظة لفظة . ازهر العبيدي ، اسماء والقاب موصلية ، ط٢ ، بغداد : ٢٠٠٧ ، ص٣٩ ؛ عبد الواب السبكي ، معيد النعم ومبيد النقم ، دار العارف بمصر : ١٩٤٨ ، ص١١١ .

(٥) هو لقب يطلق في الموصل على الرجل المتدين الذي يعلم الأطفال القراءة والكتابة في الكتاتيب مع قراءة القرآن الكريم . العبيدي ، المصدر السابق ، ص٣٩ .

(٦) الهلالي ، المصدر السابق ، ص٥٥ .

وكان الضبط والانضباط وتقويم السلوك جزءاً مهماً يرافق عملية التعليم ويقوّمه فكانت الكتاتيب بالإضافة الى كونها تعلم التلميذ فانها تعلمه الانضباط والتهذيب أيضا لتقويم سلوكه ، وقد اجاز العلماء تأديب التلميذ في العديد من الحالات مع المحافظة على حيوية الطالب ونشاطه وحتى لا يحاول اللعب والهرب من الدرس أو الحاق الأذى بالآخرين أو عدم حفظ القرآن لكي لا يخرج العقاب عن حدود الزجر والإصلاح الى التشفي والانتقام ، ولقد كان ابرز أداة يثير الرعب والخوف لدى التلميذ هي (الفلقة)(١) .

لقد كانت الدراسة في الكُتاب تبدأ بالسن السادسة من العمر ، وكان على كل تلميذ ينتسب إلى الكتاب ان يجلب معه نسخة من القرآن أو جزءاً منه مثل (جزء عمّ) مع لوح خاص للكتابة ومحبرة ، وكانت طريقة التدريس تبدأ بحفظ جزء عم على طريقة تعليم الحروف ألهجائية ، كما كان للجلوس في حلقات الدرس وفق نظام الاقدمية وفق التسلسل الزمني لالتحاق التلاميذ إلى المدرسة ، فكان أقدمهم يجلس في الصف الأول ومن ورائهم الآخرون(٢) وكانت لتلك المدارس في تلك الفترة تخطيط منظم ومرتب ، فكانت المدرسة تتكون من غرفة واحدة كبيرة ومستطيلة الشكل تتألف من جناحين يكون على يمين الداخل أليها الجناح الخاص بالمدرس ، وفي صدر هذا الجناح تكون هناك خزانة الكتب ، اما الذي يقع على جهة اليسار من الداخل فهو مخصص للتلاميذ الذين يدرسون في المدرسة ، وقد تلحق بمثل هذه المدرسة غرفة أو أكثر تخصص لسكن التلاميذ الفقراء الذين يقيمون في المدرسة وينفق عليهم ما أوقف لهم من قبل المحسنين ، وأمام هذه الغرفة اروقة تحميها ، وكان لكل مدرسة خزانة كتب هي بمثابة مكتبة لتلك المدرسة وكانت تزود بالكتب عن طريق الوقف(٣).

اما مناهج الدراسة في العهد العثماني فهي لاتخرج عن نطاق المناهج التي كانت تطبق سابقاً ، فكانت امتداداً لها دون تغيير يذكر وخاصة خلال القرون الثلاثة الأولى من حكم هذه الدولة ، وظلت محصورة بنطاق العلوم النقلية والعقلية ، فالعلوم النقلية تشمل التفسير وعلم القراءات وعلم الحديث وأُصول الفقه والعقائد الإيمانية وعلم الكلام ، ثم النظر في القران الكريم والسنة لابد ان يسبقه معرفة بالعلوم اللسانية وفروعها كاللغة والنحو والبيان والآداب .

(١) الهلالي ، المصدر السابق ، ص٥٧ . والفلقة تعني ان التلميذ المشاكس كان يربط من رجليه بحبل في مربط بسقف الغرفة او مكان عال في باحة المدرسة يكون رجليه في الأعلى ورأسه إلى الأسفل .

(٢) المصدر نفسه ، ص٤٨ .

(٣) الديوه جي ، مدارس الموصل ، ص٧ .

أما العلوم العقلية فهي لاتقتصر على ملّة من الملل او فئة من الناس دون الأُخرى كعلوم الفلسفة والحكمة وفروعها[١] . ولم تخرج مناهج مدارس الموصل عن هذا النطاق فالمواد التي كانت تدرّس تشمل الأصول الفقهية وعلم المنطق والفلسفة والعلوم الرياضية والتفسير والفقه والنحو وعلم الفلك والبلاغة والعروض والتاريخ والجغرافية [٢] ، وكانت منهجية التعليم تقضي بأن يبدأ الناشئ بعد أن يحفظ شيئا من القرآن الكريم ويتعلم الكتابة في الكتاتيب بدراسة النحو والصرف ومشتقاتها تدريجياً ، وقد يبدأ بقراءة الفقه والنحو معاً قبل أن يقوّم لسانه ثم بعدها يدرس المنطق والبلاغة والعقائد ثم أصول الفقه ، واذا سَمت بالطالب الهِمة درس العروض والقوافي والحساب والحكمة وحفظ مقامات الحريري[٣].

وقد اتبع المدرسون طرقا مختلفة تتناسب ومادة الدرس لضمان الاستفادة القصوى للتلاميذ ، ومن بين تلك الطرق أن المدرّس كان يلقي على مسامع تلاميذه ما يرغبهم في الدرس ، فكان المدرس يحكي ما وقف عليه أوما جمعه من غيره من إخبار طريفة ونوادر وأشعار وألفاظ غريبة ، ثم يفتح باب المناقشة من خلال اثارة الأسئلة وابداء الرأي . اما الطريقة الأخرى فكان المدرس يلقي درسا على مسامع تلاميذه في موضوع معين كما في مدارسنا اليوم على ان يكون هذا الإلقاء متأنيا دون تسرع في الكلام مع الابتعاد عن السرد المُمل ، مع العلم ان أبواب المناقشة والمناظرة وابداء الرأي كلها مفتوحة أمام التلاميذ . والى جانب هاتين الطريقتين هناك طريقة ثالثة وهي القراءة والشرح فيعين المدرس لطلابه ما يرجعون اليه قبل الدرس ويحاولون فهمه ، وفي أثناء الدروس يقرأ احد التلاميذ النص المطلوب ثم يعيد المدرس قراءته فقرة بعد فقرة ويشرح الألفاظ والمعاني الواردة ثم يشرح كل الدرس ويربطه بالدرس الذي سبقه ، ثم يجري مقارنة وعند افراغه من الدرس يفسح المجال أمام التلاميذ لإلقاء الأسئلة وما شكل عليهم من الموضوع ، وتعد هذه الطريقة من الطرق الحسنة في التدريس والتي كانت تسير عليها مدارس الموصل وكان العلماء يتبعونها في تدريسهم[٤] . وقد استمرت هذه الطريقة التدريسية حتى بدأت الدولة العثمانية بادخال اسلوب التدريس الحديث على اثر ظهور المدارس الحديثة بعد حركة الإصلاحات .

٥ـ التربية والتعليم في العهد العثماني الأخير :

---

(١) الهلالي ، المصدر السابق ، ص ص٩٧– ٩٨ .

(٢) الديوه جي ، التربية والتعليم في الإسلام ، الموصل : ١٩٨٢، ص٨٨.

(٣) الهلالي ، المصدر السابق ، ص ص٩٨-١٠٠.

(٤) الديوه جي ، التربية والتعليم في الإسلام ، ص ص ٨٨-٨٩ .

شهد القرن التاسع عشر تحولا مهما في حياة الدولة العثمانية نقلتها من حالـــة العزلـــة والجمود والتردي – التي استمرت فترة طويلة من الزمن كانت سبباً للهزائم المتلاحقـــة التـــي منيت بها هذه الدولة أمام القوى الاوربية – إلى حالة الانفتاح والتواصـــل مـــع هـــذه القـــوى الأوربية للبحث عن مكامن القوة وإعادة المجد الضائع من جانب ، والقضاء علـــى المشـــاكل والاضطرابات الداخلية لتحقيق حالة الاستقرار من جانب آخر(١) ، وقـــد حـــاول العديـــد مـــن سلاطين آل عثمان قيادة هذه النهضة الجديدة بدأ بها الســـلطان مصـــطفى الثالـــث (١٧٥٧- ١٧٧٤م) ومن بعده السلطان سليم الثالث (١٧٨٩- ١٨٠٧م) ثـــم الســـلطان محمـــود الثـــاني (١٨٠٨- ١٨٣٩م) ، وكانت لتلك المحاولات أثراً مهماً يعود لها الفضل في فتح البـــاب أمـــام حركة التنظيمات الفعلية التي انطلقت في عهد السلطان عبد المجيـــد الأول (١٨٣٩- ١٨٦١م) والمتمثلة في خط شريف (كلخانة) سنة ١٨٣٩م(٢) ، فكان ايذاناً ببدء عهد جديـــد فـــي تـــاريخ الدولة العثمانية جرى بموجبه الكثير من الإصلاحات شملت الجيش والإدارة وبنـــاء المـــدارس الحديثة ومن ثم الاهتمام بالأمور الأدبية والثقافية بحيث شهد تغيراً ملحوظاً كان له الأثر البعيد ليس على صعيد العاصمة العثمانية فحسب وانما حتى على الولايات العثمانيـــة الأخـــرى(٣) ، ومن ثَم أصدرت الدولة قوانين بخصوص التعليم لتحسين أوضاعه ومن أهـــم تلـــك القـــوانين القانون الصادر في سنة ١٨٤٦م والذي بموجبه تولت الدولة الإشراف علـــى التعلـــيم ، كمـــا تأسست في السنة التالية وزارة المعارف التي أخذت على عاتقها استحداث المـــدارس ، كمـــا صدر قانون المعارف العامة سنة ١٨٦٩م والذي عالج موضوعات مختلفة مثل مراحل التعليم وإدارته والإشراف عليه ونظام الامتحانات(٤) ، لكن للحقيقة وللتاريخ ان العراق باستثناء بغداد كان البلد الوحيد الذي لم يتأثر بتلك المتغيرات ، اما الموصل فلم تحضَ بذلك التأثير ابـــداً(٥) ، ويضيف الهلالي بأنه على الرغم من ادخال الاسلوب الحديث في التعليم فـــي أوائـــل القـــرن

---

(١) للتفاصيل ، انظر احمد عبد الرحيم مصطفى ، في أُصول التاريخ العثماني ، ط١ ، بيروت : ١٩٨٢، ص ص١٧٠-١٧٨ .

(٢) للتفاصيل ، انظر البرت حوراني ، الفكر العربي في عصر النهضـــة ١٧٩٨- ١٩٣٩ ، ترجمـــة كـــريم عزقول ، بيروت : ١٩٦٨ ، ص ص ٥١- ٨٨ ؛ خالد زيادة ، اكتشاف التقدم الاوربـــي ، دراســـة فـــي المؤثرات الأوربية على العثمانيين في القرن التاسع عشر ، ط١ ، بيروت : ١٩٨١ .

(٣) علي الوردي ، لمحات اجتماعية في تاريخ العراق الحديث ، ج٢ ، بغـــداد : ١٩٧١ ، ص ص ٥٤- ٥٥ .

(٤) مراد ، المصدر السابق ، ص ٥.

(٥) ستيفن همسلي لونكريك ، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ترجمة جعفر خياط ، ط١ ، منشورات مكتبة اليقظة العربية : ١٩٨٥ ، ص٣٣٧ .

التاسع عشر والتي بدأ بفتح المكاتب الأولية والابتدائية تدريجياً لتحل محل الكتاتيب ، لكنه في العراق جاء متأخراً اذ لم يكن فيه الا عدد ضئيل جداً فضلاً عن أن مناهجها كانت ناقصة ولم تر العناية الكافية الا في عهد المشروطية بعد سنة ١٩٠٨م ، ومع كل هذه العناية لم تزد عدد المدارس عن(١٣٠) مدرسة ابتدائية في كافة ارجاء العراق ، لكن مع ذلك ان استحداث المدارس الحديثة لم تلغِ مدارس الكتاتيب التي استمرت في عملها ، وخاصة ان المدارس الحديثة كانت تُدرّس باللغة التركية [(١)] ، ويشير لونكريك بهذا الصدد على ان الخدمات التربوية لم تلق العناية الا بشكل ضئيل ، وان المستويات التعليمية في كل ناحية كانت اوطأ قياساً حتى بالنسبة لمدارس البعثات التبشيرية ، كما ان المدارس الابتدائية اقتصرت فقط على المدن كما وجدت بعض المدارس الثانوية وأُخرى صناعية كما كان نظام التعليم العسكري مميزاً ، وكان أبناء الأشراف من المدنيين وكبار الموظفين يُرسلون الى اسطنبول لإكمال تعليمهم التركي ، في حين كان قلة من أبناء شيوخ العشائر تنظَم الى الكلية العشائرية ، كما كانت سمعة التعليم سيئة وممقوتة وطرائقها بدائية[(٢)] ، ويرجع احد أسبابها إلى جهل مديري المدارس ، ويضيف لونكريك على ان التدريس باللغة التركية كان له نتيجتان ، أولهما ان المادة لاتفهم ، أما الثانية فقد أخرت الشعور القومي لدى العراقيين[(٣)] ، ولاشك ان أقوال لونكريك في مجال التعليم لاتخلو من مبالغة ، فنحن لا نعدو الحقيقة بالنسبة للفرق الكبير بين مستوى التعليم الأوربي وبين الدولة العثمانية ، لكن هذا لايعني ان هذه الدولة ركنت إلى الجمود والركود حتى أواخر عهدها ، فالتطور السريع بعد صدور التنظيمات الخيرية ١٨٣٩ـــ ١٨٧٦ والرغبة في الإصلاح سواءً تحت ضغط عوامل خارجية أو داخلية قد أتت ثمارها بحمل الباب العالي إلى إصلاح أساليب الحكم وتنظيم شؤون الدولة في مختلف الشؤون الإدارية والمالية والقضائية والتعليمية ، ولما كانت اغراض التعليم فيما سبق لم تخرج عن نطاق معرفة الدين وملحقاته ففي هذا العهد كان الحاجة الى التعليم الحديث تشغل حيزاً اكبر رافقه إنشاء المكاتب الحديثة لإفساح المجال أمام أبناء البلاد لتلقّي العلوم والفنون والصناعات والتي تقود إلى رقي الشعب مادياً ، وبطبيعة الحال ان هذا التوجه الجديد كان له تأثير كبير على انحسار توجهات التعليم القديم وظهور المكاتب والمعاهد التي تحررت من سلطة رجال الدين ، بل لم تعد لعلماء الدين تلك المنزلة البارزة التي لاينالها نقد أو تقريع ، ومع ذلك استمرت المدارس الدينية إلى جانب

---

(١) الهلالي ، المصدر السابق ، ص٦٢.

(٢) ستيفن همسلي لونكريك، العراق الحديث من سنة ١٩٠٠ــ١٩٥٠،ج١، ترجمة سليم طه التكريتي ، بغداد: ١٩٨٨، ص٧١.

(٣) لونكريك ، أربعة قرون ، ص٣٨١.

المدارس الحديثة ، لقد أثبتت تلك المدارس انها كانت المخرج الوحيد للعلماء والأدباء والموظفين والتجار وسائر الصنوف لكونها كانت مدارس علم وأدب خرّجت في مراحلها المختلفة علماءً أعلام وفريقاً من الشعراء والكتاب والخطاطين[١] ، كان للعديد منهم شرف قيادة النهضة الفكرية في الموصل اسوةً بمثقفي النهضة الفكرية العربية ، وقد برزت أسماء لامعة منهم عبدالباقي العمري واحمد عزت العمري والشيخ صالح الكواز ومحمد حبيب العبيدي واحمد الجوادي وفائق الدبوني ومحمد الرضواني وعبدالله النعمة وعثمان الديوه جي وصديق الملاح وعبدالله الحسو ومحمد رشيد الخطيب وعلي الجميل وخيرالدين العمري وعبدالمجيد شوقي البكري ومحمد سعيد الجليلي ومحمد رؤوف الغلامي وسليمان فيضي وداود الجلبي وداود الملاح ومحمود الملاح وآخرون غيرهم[٢] ، وبالإضافة إلى هذه الفئة من العلماء والشيوخ المثقفين ، هناك فئة أُخرى من المثقفين تخرجوا من المدارس التبشيرية ، كان لهم باع طويل في مجالات الأدب والرواية والمسرح والتأليف والنشر وحركة الطباعة تركت لهم بصمات على الحياة التعليمية والثقافية بشكل عام ، ومن بين هؤلاء سليمان الصائغ وحنا رحماني ونعوم فتح لله سحار وحنا حبش وهرمز نورسو الكلداني وحنا رسام وغيرهم[٣] .

اذاً فعلى الرغم من ظهور المدارس الحديثة في وقت متأخر قياساً إلى الولايات العثمانية الأخرى لكن التي ظهرت منها كان لها دور مهم في رقي العلوم والمعارف وتربية الأجيال ، ويشير سليمان الصايغ إلى بداية ظهور المدارس الحد يثة في الموصل حيث يقول : (ولما استتب الأمر في ربوع الموصل سعت الحكومة العثمانية في إنشاء المكاتب عدا مدارس الجوامع وتشييد أول مكتب بسعي الحاج فهمي افندي بن مصطفى افندي بجوار باب الجيش (باب لكش) ثم افتتحوا فيه أصنافاً رشدية في عهد ولاية كنعان باشا ١٢٧٨هـ/١٨٦١م[٤] ، ونفهم من هذا النص ان أول مدرسة حكومية أُسست في الموصل كانت سنة ١٨٦١م وكانت تضم صفوفاً رشدية أي متوسطة حتى سنة١٨٩٠م حينما انفصل المكتب الرشدي عن المكتب الابتدائي ، وكانت المدرسة الرسمية الثانية هي مدرسة الصنائع التي تأسست سنة ١٨٧١م[٥] ، ثم تنوعت المدارس وتعددت ويذكر سليمان الصائغ الذي عاش في الفترة ١٣٠٤هـ /١٨٨٦م ــ ١٣٨١هـ /١٩٦١م فيقول : (فكان في الموصل إلى

---

(١) الهلالي ، المصدر السابق ، ص ص١٢٢ــ ١٢٨.

(٢) لمعرفة التفاصيل عن جهود هؤلاء المثقفين والعلماء يراجع عبد القادر، المصدر السابق ، ص ص٢٣ــ٥٣.

(٣) المصر نفسه ، ص ص١٧ــ٢٠.

(٤) الصائغ ، المصدر السابق ، ص٣٢٢.

(٥) مراد ، المصدر السابق ، ص٦.

حوالي ١٣٠٨هـ /١٨٩٠م مكتب واحد رشدي ومكتب آخر ابتدائي ثم اتسع نطاق المعارف تدريجياً حتى تعددت هذه المكاتب الابتدائية في الموصل وفي قراها المجاورة مع بقية المدارس الوطنية الإسلامية والمسيحية ثم أنشأت الحكومة العثمانية مكاتب رسمية أرقى درجة من الابتدائية فكان في الموصل حوالي سنة ١٣٣٠هـ/١٩١١م مكتب اعدادي وهو يقابل بدروسه الصفوف الثانوية وست مدارس أولية رسمية عدا مدارس الجوامع ومدارس الطوائف للذكور والإناث ثم أنشأت الحكومة العثمانية داراً للمعلمين ومكتباً للصنائع ـ مدرسة للصناعة)[١]. ان المدارس المشار اليها قد ورد ذكرها في سالنامة[٢] ولاية الموصل لسنة ١٣٢٥هـ /١٩٠٧م مع ذكر عدد طلاب كل منها ، والمناهج الدراسية المعتمدة في مدرسة الموصل الإعدادية حيث شملت اللغتين الفرنسية والتركية ثم الهندسة والزراعة والعلوم الدينية والأخلاقية والحساب والتاريخ والجغرافية ، وأن عدد طلبتها (٢٤١) طالباً ، أما دار المعلمين فكان عدد طلبتها (٥) فقط، ، ومعلمها الوحيد هو عبدالفتاح افندي[٣] ، وقد تطور هذا المعهد في السنين الاحقة بدليل ان هيئتها التدريسية بلغ عددهم (٩) معلمين مع (٣) موظفي خدمة (فراشين) ، لكن من الؤسف ان عدد طلبة المعهد لم يظهر واضحاً حيث ان الرقم ممسوح بالكامل .[٤] وقد تأسس هذا المعهد سنة ١٩٠٠م كما في بغداد والبصرة ، وكانت مدة الدراسة فيه (٣) سنوات بعد الرشدية ثم زيدت إلى (٤) سنوات ، وكان يحتوي على صفين أول وثاني ونظامها لا يجيز قبول أكثر من عشرة طلاب ، وكان المتخرج يمنح شهادة تخوله التعيين بوظيفة معلم في المدارس الابتدائية[٥]. أما المدارس الابتدائية فقد ورد ذكرها على النحو التالي التالي وهي :

١. مدرسة نمونة وعدد طلبتها (٥٠) ومعلمها محمد أفندي .
٢. = الرابعية = = (٧٥) = صفوت أفندي .
٣. = جامع خزام = = (٣٠) = احمد أفندي .
٤. = شيخ خالد = = (٢٠) = أسماعيا أفندي.

---

(١) الصائغ ، المصدر السابق ، ص٣٢٣.
(٢) هي التقارير السنوية العثمانية عن احوال الولايات ودوائرها الرئيسية والتي كانت تصدر سنوياً توضح اوضاع مؤسسات الدولة العثمانية المدنية منها والعسكرية في المركز وفي الولايات ، وهي بمثابة دائرة معارف موثقة تزود الباحث بالكثير من المعلومات الجغرافية والتاريخية فضلاً عن الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والعسكرية وغيرها .
(٣) سالنامة الموصل لسنة ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م ، ص١٥٦.
(٤) سالنامة ولاية الموصل لسنة ١٣٣٠هـ / ١٩١١م ، ص ص ١١٧- ١١٨.
(٥) مراد ، المصدر السابق ، ص ٧.

٥. = باب عراق = = (٥٢) لم يذكر أسم معلمها.
٦. = جامع جمشيد = = (٢٥) ومعلمها داود أفندي.
٧. = باب سراي = = (٣١) = أحمد أفندي.

وكان لكل مدرسة من هذه المدارس عامل خدمة يطلق عليه أسم (فراش). وإضافة إلى المدارس التي أشرنا اليها فقد تأسست مدارس أخرى خارج مدينة الموصل في القرى المحيطة بلغ عددها(١١) مدرسة وهي على التوالي:

١. الدراويش وعدد طلبتها(٨) ومعلمها سعيد أفندي.
٢. أورتة خراب وعدد طلبتها (٩) ومعلمها محمد أفندي.
٣. قرة قوينلي = = (٥) = أسعد أفندي.
٤. كوكجلي = = (١٤) = أحمد أفندي.
٥. طوبزاوة = = (٨) = يحي أفندي.
٦. عمر قبوجي = = (٧) = مصطفى أفندي.
٧. شريخان = = (١١) = مجيد أفندي.
٨. أبو جربوعة = = (٩) = أبراهيم أفندي.
٩. يارمجة = = (١٧) = محمود أفندي.
١٠. منارة شبك = = (١١) = أحمد أفندي.
١١. نينوى = = (٢٠) = داود أفندي[١]

لقد كانت مدة الدراسة في المرحلة الابتدائية (٤) سنوات والمتوسطة (الرشدية) (٣) سنوات والإعدادية (٤) سنوات ، وكانت المناهج الابتدائية تضم القراءة والكتابة والقرآن الكريم ومبادئ الحساب ومختصر التاريخ العثماني ومختصر الجغرافية والمعلومات النافعة والأشياء والصحة، ويدرس الأطفال غير المسلمين أصول دينهم بأشراف رؤسائهم الروحانيين. اما منهج المدارس الرشدية فكان يتضمن مبادئ العلوم الدينية وقواعد اللغة التركية والإملاء والإنشاء والقواعد الفارسية والعربية وعلم الحساب وأصول مسك الدفاتر والرسم ومبادئ الهندسة والتاريخ العام والتاريخ العثماني والجغرافية والرياضة ، وتضمن منهج المدارس الإعدادية مواد عديدة كاللغة التركية ومبادئ علم ثروة الأمم (الاقتصاد) وأُصول الحساب واللغة الفرنسية والجغرافية والهندسة وعلم المساحة والفلسفة والتاريخ العام والقوانين العثمانية والمنطق وعلم المواليد (البايولوجي) والجبر والرسم[٢] .

(١) سالنامة الموصل ١٣٢٥هـ ، ص١٥٦ .
(٢) مراد ، المصدر السابق ، ص ص٧-٨ .

ومن الملاحظ ان مدارس الموصل قد زاد عددها بعد ثورة حزب تركيا الفتاة سنة ١٩٠٨م ، فبالإضافة إلى المدارس التي ذكرناها ظهرت أسماء مدارس جديدة أُخرى في سالنامة الموصل لسنة ١٣٣٠هـ / ١٩١٣م مع الإشارة إلى أعداد طلابها وهذه المدارس هي: ١- المدرسة النموذجية وعدد طلابها (١٣٠) . ٢- مدرسة الاتحاد والترقي وعدد طلابها (٨٥) . ٣- مدرسة المياسة الابتدائية وعدد طلابها (٥٣) . ٤- مدرسة كورة باش الابتدائية وعدد طلابها (٦٠) . ٥- مدرسة شيخ محمد الابتدائية وعدد طلابها (٣٣) . ٦- مدرسة الرشيدية وعدد طلابها (٢٨)[١].

وجدير بالملاحظة ان مجموع طلبة مدارس الموصل قبل اعادة الدستور العثماني لم يتجاوزوا (٢٨٣) طالباً في مركز المدينة و (١١٩) في مدارس القرى التابعة لها ، وهذا يفسر لنا ان اقبال الناس على التعليم كان محدوداً ، وعلى سبيل المقارنة يظهر لنا ان مجموع هؤلاء الطلبة حوتهم (١٨) مدرسة ، لكنه بعد عودة الدستور العثماني يظهر ان مجموع طلبة (٦) مدارس إضافية قد بلغ (٣٨٩) طالباً ، وهذا يدل أيضاً على ان اعادة الدستور كان له الأثر المهم في تطور الوعي الاجتماعي تجاه مسألة التربية والتعليم ومن ثم الاقبال على الدراسة بشكل اكبر بحيث أُضيفت ثلاث مدارس أُخرى في الموصل إبان هذه الفترة وهي مدرسة تطبيقات دار المعلمين ومدرسة دار العرفان ومدرسة شمس المعارف ، لكنه ما لبث ان انحسر مجال التعليم على اثر الحرب العالمية الأولى[٢] ، ويشير سليمان الصايغ إلى اثر هذه المدارس على مدارك الناس ووعيهم عندما يقول : (وقد أحدثت هذه المدارس حركة علمية بين الأهالي الا ان هذه الحركة دونما تستحقه الموصل بالنظر إلى مركزها التاريخي والاقتصادي)[٣] .

اما فيما يتعلق بتعليم البنات فالموصل تعد في مقدمة المدن العراقية التي نشأت فيها مدارس لتثقيف البنات وكما اشرنا إلى جهود المدارس التبشيرية ومن بينها أخوات المحبة ، الا ان الجهود الرسمية من قبل الدولة العثمانية لم تنشط الا بعد اعادة الدستور العثماني سنة ١٩٠٨م ، اذ تم فتح (مكتب رشدي) للإناث ثم بعد ذلك بمدة تم فتح مكتب ابتدائي في محلة السرجخانة ، وكان مجموع طالبات هاتين المدرستين (٢٦٠) طالبة[٤] ، وقد ورد ذكر هاتين المدرستين في سالنامة الموصل ١٣٣٠هـ / ١٩١١م فكانت الهيئة التدريسية للمدرسة الرشدية (٤) معلمات كما ورد ذكر معلمة واحدة للمدرسة الابتدائية هي كميلة خانم وعدد طالباتها

(١) سالنامة الموصل لسنة ١٣٣٠هـ ، ص ص ١١٨- ١٢١.

(٢) الهلالي ، المصدر السابق ، ص١٧٨ .

(٣) الصايغ ، المصدر السابق ، ص ٣٢١ .

(٤) الهلالي ، المصدر السابق ، ص ١٨١ .

(١٤٠) طالبة[١] . كما يشير سليمان الصايغ أيضاً بان الحكومة العثمانية قامت بفتح مدرستين للبنات في مدينة الموصل[٢] .

ومن الجدير بالذكر هنا أن نشير إلى مدى ما أحدثته هذه المدارس في المجتمع الموصلي سواءً على صعيد التعليم والثقافة أو على صعيد الوعي الفكري ، فمن جانب خرجت هذه المدارس نخب من الكوادر الإدارية والعسكرية والتعليمية كانت لها الفضل في إرساء قاعدة النهضة الحديثة لهذه المدينة ، ومن جانب آخر كان لعدد من تلك المدارس دور ملحوظ لبث الوعي الوطني والقومي بين الشبيبة وموازياً لتطور العلاقات السياسية بين الأتراك والعرب بعد نجاح ثورة الاتحاد والترقي عام ١٩٠٨م والذي بدأ أعضاؤها يستأثرون بالحكم ثم أخذوا يتنصلون عن المبادئ التي كانوا قد أعلنوها في بادئ الأمر والتي تحددت ب(عدالت ، حريت ، مساواة)أي مبادئ العدالة والحرية والمساواة. وكانت هذه الجمعية قد أنشأت فروعاً لها في كل عاصمة من عواصم العرب ومدنها المهمة كالشام والعراق والحجاز واليمن وغيرها ، وكانت كل هذه الفروع تأتمر بأمر(المقر العام) للجمعية في الأستانة وتنفذ تعاليمها. وقد ولّدت هذه السياسة ردود فعل قوية من قبل العناصر الغير تركية في الدولة العثمانية عامة والعرب بشكل خاص بحيث ان نواب الولايات العربية أنشأوا (كتلة) مستقلة اتحدت مع نواب الألبان والأرمن والأكراد وبعض الأتراك من معارضي الاتحاديين ، وقد انبثق منها حزب(الحرية والائتلاف) العثماني سنة ١٩٠٩م ، كما ظهرت خلال هذه الفترة جمعيات عربية عديدة في القاهرة وبيروت والأستانة ودمشق وبغداد لتعزيز شأن العرب والمطالبة بحقوقهم أسوةً بالأتراك[٣] . لقد أعطانا سليمان الصائغ صورة واضحة عن مدى تحامل الطورانيين الأتراك تجاه العرب من محاربة اللغة العربية بهدف طمس معالمها فيقول بهذا الصدد : (ويعرف عامة المتكلمين من أهل الضاد من أهل هذا القرن مساعي العثمانيين في تعميم اللغة التركية ونشرها في المدارس الابتدائية والعالية وإضعاف شأن اللغة العربية حتى أنها ألغيت أخيراً من قائمة المواد المدرسية)[٤] وفي الموصل تم فتح فرع لجمعية ألاتحاد والترقي حين انظم إليه أُناس كثيرون من أبناء الموصل واتخذوا له نادياً دعوه (القلوب) (كلوب) وجعلوا منه مركزاً لإدارة الجمعية ، وأنشأوا في ذات الوقت مدرسة ابتدائية ملحقة بالجمعية ورد اسمها فيما سبق (اتحاد وترقي مكتبي) جعلوا لها بناية خاصة وشعاراً خاصاً وصيروها مدرسة نموذجية ، ووحدوا أزياء الطلاب المدرسية بثياب عسكرية واتخذوا لهم بنادق صغيرة خاصة بالطلاب ألأحداث ، فكانوا يحملونها و يسيرون في بعض شوارع المدينة على نظام الجندية وينشدون الأناشيد التركية[٧٦] . كما حظيت دار المعلمين أيضاً باهتمام الاتحاديين وجعلوا لها

(١) سالنامة الموصل لسنة ١٣٣٠هـ ، ص ص ١١٨و١٢٠.

(٢) الصايغ ، المصدر السابق ، ص ٢٣٢ .

(٣) أمين سعيد ، الثورة العربية الكبرى ، ج١، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، ص٢٦.

(٤) سليمان الصائغ ، تاريخ الموصل ، ج٢، بيروت : ١٩٢٨، ص ٢٥٨.

صفاً إضافياً وتوسع القبول فيها إلى حدود (١٥٠) طالباً وكان يقبل فيها من مختلف عناصر المجتمع منهم العربي والكردي والتركي والمسيحي واليهودي ، واتسعت مناهجها على نمط دور المعلمين في المدن الكبيرة مثل اسطنبول وغيرها وعينوا لها مديراً تركياً فضلاً عن معلمين أتراك لبعض الدروس مثل (الطبيعيات ، أصول التربية ، الالهيات ، الرياضة البدنية ، الموسيقى ، الأناشيد) ، وكان أولئك المعلمين يتحمسون لقوميتهم وحكومتهم ولغتهم التركية ولا تخلو دروسهم من الدعوة القومية التركية إلى درجة استفزت الطلاب ونفرتهم من هذه الدعاية[١]. وبعد أن تبين لأهل الموصل سياسة الاتحاديين بدأوا يتركون هذه الجمعية لينظموا إلى حزب (الحرية والائتلاف) المعارض ، وهكذا شهدت الموصل صراعاً حزبياً على نطاق مدينتهم مما أدى إلى ظهور فئات تؤيد هذا الاتجاه دون الآخر، لكن الذي تبين بشكل واضح هو إن الكثير من الموصليين تركوا حزب الاتحاد والترقي وانظموا إلى حزب الحرية والائتلاف ، وقد اتخذ جانبي الصراع منابر لهما من خلال الصحافة ، فكانت جريدة نينوى تؤيد الاتحاديين بينما كانت جريدة النجاح لسن حال حزب الحرية والائتلاف [٢] .

لقد كان للمؤسسات الثقافية دور ملحوظ بالتصدي لسياسة الاتحاديين والتي تمثلت بمدرستي (دار المعلمين) و(دار العرفان) بحيث أصبحت هاتين المدرستين واجهات وطنية وقومية اعتباراً من السنة التي سبقت الحرب العالمية الأولى ، فكانت(دار العرفان) قد أضحت محطة لبث الأفكار الوطنية والقومية عن طريق أقامة الحفلات الرسمية والخاصة ، وكانت الخطب الحماسية والأناشيد الوطنية باللغة العربية من بين أهم برامجها ويشارك فيها نخبة من المعلمين والطلاب ، وكان من ابرز معلميها محمد رؤوف الغلامي وأيوب الصمدي ومحمد سعيد الجليلي ومحمود الملاح. أما (دار المعلمين) فكانت أقدم من دار العرفان ، وفي فترة الاتحاديين عين لها معلمين أتراك ما فتئوا ينشرون الأفكار الطورانية ، الا أن البعض من المعلمين الموصليين وطلاب المدرسة تصدوا لهذا الاتجاه من خلال بث الأفكار الوطنية والقومية ، وكان من ابرز هؤلاء مولود مخلص والشيخ قاسم الشعار واشتهر من بين طلاب هذه المدرسة نشأت المفتي وحسين شهاب النعلبند وغيرهم[٣] .

أما فيما يخص النظام الإداري للمدارس التي تأسست في الموصل في نهاية العهد العثماني فكانت هذه المدارس تحت إشراف دائرة المعارف التي تأسست سنة١٨٩٤م وسبقها تأسيس مجلس معارف الموصل في سنة١٨٨٤م[٤] والذي ضم في تشكيلته حسبما وردت في سالنامة الموصل كلاً من مدير المجلس وهو توفيق أفندي إضافة إلى محاسب وكاتب معارف وكاتب حسابات أمين صندوق ، وكان هذا المجلس مكوناً من (٨) أعضاء لإدارة هذه الدائرة .

(١) مراد ، المصدر السابق ، ص١٢.

(٢) عبدالقادر ، المصدر السابق ، ص٥٦.

(٣) للتفاصيل ، يراجع المصدر نفسه ، ص ص٥٣ــ ٥٨.

(٤) مراد ، المصدر السابق ، ص ٨.

لقد كانت هذه النهضة العلمية على الرغم من التقليل من شأنها من قبل البعض[1] ، الا أنها كانت الأساس الذي قامت عليه حركة التربية والتعليم في مدينة الموصل في العصر الحديث واتسعت فيما بعد لتشمل العديد من المدارس الابتدائية والمتوسطة والإعدادية وتأسيس جامعة الموصل والمعاهد العلمية في عصرنا الحاضر .

الخلاصة

لم تَحظَ ولاية الموصل بالاهتمام من قبل الحكومات العثمانية اسوةً بمدن العراق الأخرى ، حيث لم تطرأ تغيرات على جانب من الأهمية في مجال التربية والتعليم ، هذا فضلاً عن التركة الثقيلة التي ورثها العثمانيون من العهود السابقة التي أجهضت واتت على كل المرتكزات الحضارية التي بناها العراقيون في بغداد الزاهرة ، لكنه ما وجد من نشاط في هذا العصر يعود فيه للجليليين الذين حكموا هذه الولاية ما بين ١٧٢٦- ١٨٣٤م ، حيث وجه هؤلاء الكثير من الجهود إلى النواحي الحضارية وخاصة بناء المدارس واجروا عليها الأوقاف مما شجع حركة التربية والتعليم التي أوجدت جيلاً من العلماء والأدباء كان لهم الفضل في إرساء قاعدة للنهضة الفكرية الحديثة بعد منتصف القرن التاسع عشر حين ظهرت المدارس الحديثة ومجيء الإرساليات التبشيرية التي على الرغم من أهدافها الخفية الا انها أسهمت في بناء المدارس وتأسيس المطابع فكانت انطلاقة جديدة نحو النهضة الفكرية اسوةً بالمدن العربية الأخرى ، وكان للعديد من مدارس الموصل في مطلع القرن العشرين دوراً مهماً في إيقاظ الروح التحريرية لدى الناشئة لمقارعة العنصرية التركية في أواخر الحكم العثماني ، ثم التصدي للاستعمار البريطاني بعد احتلاله للعراق في الحرب العالمية الأولى .

(١) أنظر لونكريك ، العراق الحديث ، ص٧ ؛ كذلك فيب أي مار، النخبة السياسية في العراق (د،ت،م) ، ص٧، والذي يقول بأنه في وقت الأحتلال البريطاني لم يكن هناك أكثر من ألف أو ألفي عراقي تخرجوا من أي نوع من أنواع الجامعات سوى في أستانبول وأن أي عراقي لم يلحق بالمعاهد الأوربية .

قائمة المصادر

- القرآن الكريم .

المصادر العربية والمترجمة :

١- احمد ، إبراهيم خليل : تطور التعليم الوطني في العراق من سنة ١٨٦٩- ١٩٣٢م ، البصرة : ١٩٨٧.

٢- ابن جبير، محمد بن احمد بن الحسن : رحلة بن جبير ، تحقيق د. حسين نصار ، القاهرة: ١٩٥٥ .

٣- ابن خلكان : وفيات الاعيان ، تحقيق عبدالسلام هارون ، القاهرة : ١٩٤٨ .

٤- اسحاق ، روفائيل بابو : تاريخ نصارى العراق ، بغداد : ١٩٤٨ .

٥- البراك ، فاضل : المدارس اليهودية والإيرانية في العراق ، دراسة مقارنة ، بغداد : ١٩٨٤.

٦- البيومي ، السباعي : التربية وطرق التدريس واتصالها بعلم النفس ، مطبعة ابي الهول ، مصر : د.ت .

٧- الجلبي ، داؤد : مخطوطات الموصل ، بغداد : ١٩٢٧.

٨- الجواهري ، عماد احمد : الأوضاع الإقطاعية في فلسطين في العصر الحديث ، مطبعة جامعة بغداد : .١٩٨٣

٩- حوراني ، البرت : الفكر العربي في عصر النهضة ١٧٩٨- ١٩٣٩ ، ترجمة كريم عزقول ، بيروت : ١٩٦٨.

١٠- الديوه جي ، سعيد : تاريخ الموصل ، ج١ ، مطبعة جامعة الموصل : ١٩٨٢.

١١- = = : تاريخ الموصل ، ج٢، دار الكتب ، جامعة الموصل : ٢٠٠١.

١٢- = = : التربية والتعليم في الإسلام ، الموصل : ١٩٨٢.

١٣- رؤوف ، عماد عبد السلام : الموصل في العهد العثماني فترة الحكم الجليلي ١٧٢٦- ١٨٣٤، النجف : ١٩٧٥.

١٤- زيادة ، خالد : اكتشاف التقدم الأوربي / دراسة في المؤثرات الأوربية على العثمانيين في القرن التاسع عشر ، بيروت : .١٩٨١

١٥- السبكي ، عبد الوهاب : طبقات الشافعية الكبرى ، مطبعة السعادة ، مصر : ١٣٣٤هـ.

١٦- = = : معيد النعم ومبيد النقم ، تحقيق محمد علي النجار وابو زيد شلبي ، دار الكتاب العربي ، مصر : ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م .

١٧- سعيد ، أمين : الثورة العربية الكبرى ، ج١ ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، د.ت .

١٨- شمعون ، صليبا : تاريخ ابريشية الموصل الكلدانية ، بغداد : .١٩٨٤

١٩- شيلدز ، سارة : الموصل قبل الحكم الوطني في العراق ، خلية نحل تصنع بيوتاً مخمصة الاضلاع ، ترجمة باحثة الجومرد ، ط١، الموصل : ٢٠٠٨.
٢٠- الصايغ ، القس سليمان : تاريخ الموصل ، ج١، المطبعة السلفية ، مصر : ١٣٤٢هـ / ١٩٢٣م .
٢١- عبدالقادر ، نوري احمد : الموصل والحركة القومية العربية ١٩٢٠- ١٩٤١، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الموصل ، كلية الآداب : ١٩٨٨.
٢٢- العبيدي ، أزهر: أسماء وألقاب موصلية ، ط٢، بغداد : ٢٠٠٧.
٢٣- عسكر ، رياض محمد : التربية وأثرها في المجتمع ، القاهرة : ١٩٤٨.
٢٤- العمري، ياسين بن خيرالله : منية الأدباء في تاريخ الموصل الحدباء ، مطبعة المعارف، الموصل : ١٩٥٥.
٢٥- فيب أي ، مار : النخبة السياسية في العراق ، (د.ت.م) .
٢٦- الغلامي، عبد المنعم : أسرار الكفاح الوطني في الموصل ١٩٠٨- ١٩٢٥، ط١، بغداد: ١٩٥٨.
٢٧- لونكريك ، ستيفن همسلي : أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر خياط، منشورات مكتبة اليقظة العربية : ١٩٨٥.
٢٨- = = = : العراق الحديث من سنة ١٩٠٠- ١٩٥٠، ج١ ، ترجمة سليم طه التكريتي ، بغداد : ١٩٨٨.
٢٩- المحافظة ، علي : الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة ١٧٩٨- ١٩١٤، ط٣، بيروت : ١٩٨٠.
٣٠- المقدسي ، البشاري شمس الدين : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، لندن : ١٩٠٩.
٣١- مصطفى ، احمد عبدالرحيم : في أُصول التاريخ العثماني ، ط١، بيروت : ١٩٨٢.
٣٢- الهلالي ، عبدالرزاق : تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني ١٦٣٨- ١٩١٧، بغداد : ١٩٥٩.
٣٣- الوردي ، علي : لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، ج٢، بغداد : ١٩٧١.

المصادر العثمانية :

١- سالنامة نظارت معارف عثمانية لسنة ١٣١٨هـ /١٩٠٠م ، دار الطباعة العامرة : ١٣٤٨هـ .
٢- سالنامة ولاية الموصل لسنة ١٣٢٥هـ / ١٩٠٧م ، تحرير عزتلو صفوت بك ، طبع ولاية اولتمشدر : ١٣٢٥هـ .

٣- سالنامة ولاية الموصل لسنة ١٣٣٠هـ / ١٩١١م ، د. م . ط .

البحوث والمقالات :

١- الديوه جي ، سعيد : مدارس الموصل في العهد العثماني ، مجلة سومر العددان ١٨- ١٩/ ١٩٦٢.

٢- خليل ، عماد الدين : ملاحظات عن تاريخ الموصل ، مجلة سومر ، المجلد ٣٨/ ١٩٨٢.

٣- مراد ، خليل علي ، أوضاع التعليم في الموصل منذ منتصف ق١٩ حتى نهاية الحرب العالمية ألاولى ، مجلة دراسات موصلية ، العدد الثامن ، آذار ، ٢٠٠٥ ، ص٩ .

٤- معروف ، ناجي : مدارس ماقبل النظامية ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، مجلد ٢٢ / ١٩٧٣.